الزميع وعاداتنا وتقاليدنا

استلمت بسرور مشوب بالحذر رسالة من وكيل وزارة التخطيط، ارفق بها ملفا عن رؤى الوزارة الاستشرافية لمستقبل التنمية في الكويت للفترة من عام ٢٠٠٠ الى ٢٠٢٥.

وبما انني قد تجاوزت الخمسين بقليل، وطبقا لنظرية الاحتمالات فان فرصة وجودي حيا ارزق حتى ذلك الوقت لا تبدو صعبة التحقيق!!

يقول السيد وزير التخطيط د. علي الزميع في مقدمة الكتيب - الملف ان الوزارة بصدد تنظيم حوار وطني يهدف الى استشراف رؤى مستقبل التنمية في المدى البعيد والممتد حتى عام ٢٠٢٥، علما بانني اشك في ما اذا كانت الدولة تعرف الى اين هي سائرة للفترة من الاول من ديسمبر ١٩٩٧ وحتى نهاية ديسمبر ١٩٩٩، ناهيك عن ربع القرن المقبل!!! وربما من هذا المنطلق اراد هذا الوزير الكفء ان يفعل شيئا كان من الممكن ان يفعله المرحوم احمد الدعيج لو لم يعاجله الموت باسرع مما كان متوقعا!!!

نود، صادقين، ان نشارك الوزير الشاب تفاؤله الكبير وما يشعر به من حماس، وربما لهذا السبب تأتي مساهمتنا المتواضعة والمقتضبة التالية على بعض ما ورد في ذلك الملف.

يذكر الوزير في مقدمة الملف بانه «يجب ان نعي ان التغيير قادم من الخارج لا محالة في عالم اليوم الذي تختفي فيه الحدود امام الاتصال الثقافي والتجاري والاستثماري، ويجب ان نستعد لذلك ونتفاعل معه لكي تكون نتائج هذا التغيير لصالحنا». صح لسانك يا سيدي، ولكن كيف يمكن تطبيق ذلك في ظل كل المعطيات الحالية التي تشير الى سعي الدولة الحثيث، وبكافة اجهزتها، نحو الانغلاق، والعزف المستمر على مقولة «اللهم لا تغير علينا»!!! وكيف يمكن تطبيق ذلك وقوى التخلف تجر البلد خطوتين الى الوراء كلما تقدمنا خطوة الى الامام؟

ويذكر في فقرة اخرى التالي «ففي بعض الظروف قد تحتاج المجتمعات الى بذل الدماء والجهد والمال. ولكننا اليوم - من المؤكد - نحتاج بالدرجة الاولى الى الابداع والتميز في نظرتنا الى التنمية في المستقبل. من خلال الاستثمار الامثل لقدراتنا الفكرية والعقلية، واستنهاض همم المواطنين بهدف خلق ارادة التغيير نحو مستقبل افضل لهذا المجتمع...». ولا ادري حقيقة كيف سيتم تعريف وتطبيق «استثمار قدراتنا الفكرية والعقلية» في دولة تتسابق جمعياتها والكثير من هيئاتها والعديد من افرادها على منح مئات الجوائز واجراء عشرات المسابقات ورعاية مئات احتفالات حفظ القرآن الكريم، بدل ان ننفق عشر ذلك على عملية فهم مواضيع القرآن والاستفادة منها بدلا من حثهم على صم الآيات فقط، وانفاق تسعة اعشار على توفير اقصى التسهيلات للموهوبين في صغارنا وفي كافة المجالات؟

انني لا اود هنا ان ابدو كمن يضع العصي في عجلة مشروع الاستشراف هذا، ولكن من الصعب تجنب ما يرد على البال من تساؤل عن موقف الحكومة بكبارها من هذا المشروع الحضاري المعقد. فليس من المجدي عقد الندوات واجراء المناقشات وتضييع وقت عشرات المختصين والمسوولين للخروج بكمية من التوصيات يكون مصيرها مصير الآلاف غيرها والتي انتهى بها المطاف على ارفف مغبرة!! وعليه فان المطلوب هنا السير بعكس المنطق وتطبيق قاعدة «عاداتنا وتقاليدنا»، وسؤال القمة بدلا من القاعدة، وجس نبض كبار المسؤولين عن رأيهم في مختلف التصورات التي من الممكن ان تتمخض عنها مثل هذه الندوات، ومعرفة ردود فعلهم المسبقة عليها، وذلك لتجنب ان يلقى هذا المشروع الحضاري المصير الذي انتهت اليه عشرات الاقتراحات والمشاريع المماثلة الاخرى، وذلك قبل السير خطوة واحدة الى الامام في هذا المشروع الكبير!!

انني لا املك هنا الا ان احسد د. علي الزميع على كمية التفاؤل التي تكمن بداخله والتي اتمنى لو املك ولو جزءا منها في داخلي!!!

احمد الصراف